

الاجتهاد في الدرس العقدي عند علماء الريف المغربي الفقيه محمد بليلو

أنموذجا

د. سعيد بدهان

جامعة محمد الأول وجدة المغرب

تاريخ الاستلام: 2024/12/01 تاريخ القبول: 2024/01/05 تاريخ النشر: 2024/05/27

ملخص: يهدف هذا البحث إلى إبراز جهود علماء الريف المغربي في علم الكلام الأشعري، وذلك من خلال دراسة علم من أعلامه، وبيان بعض جوانب منهج الدرس العقدي في الريف؛ إذ يوجد بعض من ينكر أن يكون في الريف المغربي من يهتم بالعلم فضلا عن علم الكلام، وهذه الدراسة تحاول الرد على تلك الأصوات التي تخالف الواقع، وقد تناول البحث ترجمة الفقيه محمد بليلو، مع بيان ماله من جهود في علم الكلام الأشعري، كما توقف البحث على بعض مؤلفاته وما تميزت به من مواقف واختيارات في علم الكلام.

الكلمات المفتاحية: الاجتهاد، العقيدة، الريف، محمد بليلو

Abstract

This research aims to highlight the efforts of Moroccan rural scholars in the science of Ash'ari theology, by studying one of its famous scholars, and explaining some aspects of ijthihad that characterize the doctrine study in the countryside. There are some who deny that there are those in the Moroccan countryside who are interested in science as well as theology, and this study attempts to respond to those voices that contradict reality. The research dealt with the translation of the jurist Muhammad Balilu, with an explanation of his efforts and efforts in the science of

Ash'ari theology, as mentioned above. Research on some of his works and their distinctive positions and choices in theology.

Keywords: Ijtihad, Croyance, Campagne, Muhammad Belilo

د. سعيد بدهان

1. مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على نبينا وعلى آله وصحابه أجمعين.

أما بعد؛ فإن العقيدة تُعد أجل العلوم الإسلامية، وأشرفها؛ إذ هي أول واجب على المكلف، وعليها يتوقف قبول سائر الأعمال الصالحة قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:88]، ولعلماء الأمة جهود مشكورة في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وبيان مسائلها وتوضيح متشابهها فنافحوا وألفوا وكتبوا، ومنهم أئمة أسهموا في رفع راية أهل السنة والجماعة، كالإمام أبي الحسن الأشعري الذي بلغت شهرته الأفاق، وارتضى الناس مذهبه شرقا وغربا.

ولقد حظيت العقيدة الأشعرية في الغرب الإسلامي باهتمام كبير، وتضافرت جهود علماء المغرب في نشرها والاعتناء بها.

أهداف البحث: يرنو هذا البحث إلى تحقيق هدف محدد، وهو إبراز الجهود والآراء العقدية للفقهاء بليلو من خلال كتاباته التي تناول فيها الدرس العقدي.

إشكالية البحث:

يحاول البحث الإجابة عن تساؤل طالما تردد على ألسنة البعض ألا وهو هل في الريف المغربي علماء اهتموا بعلم الكلام؟ وإذا كان الجواب بنعم فمن هم؟ وماهي جهودهم واجتهاداتهم؟ وهل توجد مؤلفات لهم تظهر مدى اهتمامهم بعلم الكلام الأشعري؟ هذا ما سيحاول البحث الإجابة عنه وذلك عبر دراسة علم من أعلام الريف.

المنهج المتبع في البحث:

عنوان المقال: (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

وللإجابة عن التساؤلات اعتمدت المنهج التاريخي للتعريف بالفقيه محمد بليلو وبمؤلفاته وجهوده، وكذا المنهج الاستنباطي في رصد مضامين مسائل العقيدة التي تناولها في كتبه، ثم المنهج الوصفي التحليلي المسعف في وصف المادة الكلامية المستنبطة وتحليلها ومناقشتها ومقارنتها بغيرها من أقوال أهل العلم.

خطة البحث:

يرتكز هذا البحث بعد هذه المقدمة على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالفقيه محمد بليلو وعطائه العلمي.

المبحث الثاني: اجتهاد الفقيه محمد بليلو في الإلهيات

المبحث الثالث: اجتهاد الفقيه محمد بليلو في النبوات والسمعيات.

خاتمة: سأبث فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وبعض التوصيات للمقبلين على تراث الريف العقدي.

2. التعريف بالفقيه محمد بليلو وعطائه العلمي.

1.2 إضاءات من سيرة الفقيه محمد بليلو

الاسم والنسب والنشأة: هو محمد بن ميمون بليلو، ولد سنة 1951م، بجماعة أولاد عيسى، قبيلة بني بويحيي إقليم الناظور، بدأت مسيرته من الكتابيب القرآنية، إذ التحق بكتّاب القرآن الكريم، وهو دون سن الخامسة من عمره، وذلك بمسجد الزاوية الكركرية الدرقاوية، على يد الشيخ محمد بن الطيب بن يارشوح، تعلم على يديه القراءة والكتابة، مكث عنده ثلاث سنوات إلى أن توفي، وبعده انتقل إلى حفظ القرآن الكريم على عدد من الشيوخ منهم، الفقيه سي عمر قمقومي من قبيلة بني سعيد، والفقيه سي التهامي من تمسمان إلى أن أتقن حفظ القرآن الكريم وهو دون الخامسة عشرة، يحكى صاحب الترجمة عن نفسه أن أفرادا من جماعة المسجد كانوا يلقبونه بالمصحف، لشدة إتقانه حفظ القرآن الكريم، وصغر سنه ونحافة جسمه.

اسم ولقب المؤلف (بن) (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

الرحلة في طلب العلم: يذكر المترجم له أنه كان يحفظ بعض المتون أثناء حفظه للقرآن الكريم، وهذه عادة أغلب الكتاتيب القرآنية في المغرب حينما يشارف الطالب على الختمة الأخيرة في حفظ القرآن الكريم، يكتبون له بعض الأبيات في حاشية اللوح، إما متن ابن عاشر أو الأجرومية، أو ألفية ابن مالك في النحو؛ ليحفظها الطالب مع الواجب المقرر من القرآن الكريم، فقد تم ذلك للفتية محمد بليلو، فحفظ منظومة ابن عاشر، والمقدمة الأجرومية في النحو.

أما عن رحلة الشيخ خارج بلدته لطلب العلم الشرعي، فإنه يذكر أنه توجه إلى قبيلة تمسمان، وبالتحديد مسجد ثقيصفت ندهار، ومسجد لعسارة بالخميس لقديم أولاد دحاديت، إذ قرأ هناك مبادئ العلم الشرعي حيث درس على يد الفقيه سي عبد السلام متن الأجرومية، وقطر الندى في النحو، ومنظومة ابن عاشر، ومختصر خليل في الفقه، ومنظومة البيقونية في مصطلح الحديث.

وبعد مدة من الزمن دفعته رغبته في طلب العلم الشرعي إلى الانتقال إلى مدينة طنجة، فالتقى بشيوخها وتلمذ على أعلامها كالشيخ المحدث عبد الله التليدي رحمه الله تعالى، والشيخ الإمام عبد الله بن الصديق، وغيره من العائلة الصديقية رحمهم الله تعالى.

2.2 ثانيا: أعماله ووظائفه:

-الإمامة والخطابة والتدريس: رجع الفقيه محمد بليلو من مدينة طنجة إلى مدينة الناظور، وتولى مهمة الإمامة والأذان وتدريس الطلبة بقرية دوار عيسى بجماعة تيزطوطين، واستمر على ذلك لمدة ثلاث سنوات بعدها انتقل إلى دوار لهبارة بمطالسا، وقام بنفس المهمة لمدة سنة كاملة إلا أن المسجد الذي مكث فيه ما يقارب اثنين وعشرين عاما هو مسجد ثجدجشت، وتوطدت علاقته بأبناء الجماعة، وكانوا يقدرونه ويحترمونه، ويثمنون الأعمال التي يقوم بها من تدريس وخطابة وتوجيه للناس، واستمر في عطائه مع أبناء هذا المسجد إلى سنة 2000م انتقل إثرها إلى

المسجد المركزي بتزطوطين، فكان يزاوّل به الإمامة والخطابة إلى غاية سنة 2014م، ثم توقف بسبب المرض الذي ألمّ به، فلم يستطع القيام بمهام الإمامة والخطابة. -تأطيره للأئمة والخطباء في تزطوطين: إلى جانب قيامه بمهام الإمامة والخطابة كان الفقيه محمد بليلو يشارك المجلس العلمي المحلي بإقليم الناظور في تأطير الأئمة والخطباء، وكانت انطلاقته مع تكليفه بهذه المهمة سنة 2006م، وتم ترسيمه واعظاً ملتزماً بالمجلس العلمي المحلي بإقليم الناظور.

3.2: العطاء والإنتاج العلمي.

مؤلفاته: الفقيه السيد محمد بليلو صاحب قلم سيال فتح الله عليه في التأليف؛ إذ صنف في عدد من المجالات العلمية، فمن تصانيفه المطبوعة في العقيدة والفقه:

أ-دروس التوحيد في العقيدة الأشعرية.

ب-التبيان لبعض ما كان وما يكون من الفتن في أرض العراق والشام.

ج-حكم تحية المسجد يوم الجمعة ابتداء من خروج الخطيب إلى تمام الصلاة.

د- مواقيت الصلاة، لم يطبع ولا يزال في المسودة.

محاوّر كتاب دروس التوحيد في العقيدة الأشعرية: هذا الكتاب بناه على مقدمة وستة محاور، أما المقدمة فتحدث فيها عن أهمية العقيدة، وأنها من أهم العلوم وأشرفها، وذكر فيها المنهجية التي ارتأها واتبعها في بحثه، ثم تطرق إلى بيان خطة بحثه، وأنه يقوم على ستة محاور:

المحور الأول: ترجم فيه للإمام أبي الحسن الأشعري

(بليلو، 2009م، 15). وذكر فيه بعض مناقبه، ومن هم الأشاعرة، وذكر بعض

مشاهير علمائهم كالحافظ ابن حجر العسقلاني، وشيخ الإسلام النووي، والإمام أبي

حيان صاحب البحر المحيط وغيرهم.

اسم ولقب المؤلف (بن) (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

المحور الثاني: في تفسير العقائد الستة والستين وجمعها وترتيبها، وقد استند في عرضه للصفات الواجبة في حقه تعالى على مقدمة منظومة الإمام ابن عاشر رحمه الله تعالى، وهي على أربعة أقسام:

- النفسية واحدة وهي الوجود.
- والسلبيات خمسة وهي: القدم والبقاء والغنى المطلق والمخالفة للحوادث والوحدانية في الذات والصفات والأفعال.
- والمعاني سبعة وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام.
- والمعنويات سبعة وهي: كونه تعالى قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما". (بليلو، 2009م، 24).

ثم فصل في الحديث عن الصفات العشرين إضافة إلى المستحيلات في حق الله تعالى، وهي أضداد الصفات المذكور سابقا بقيت ست وعشرون صفة عشرة جمعها في رمز: (عجق حط) وأضداده، وعشرة في قواعد الإيمان، وستة فيما يجب ويستحيل في حق الرسل. (بليلو، 2009م، 56).

المحور الثالث: تحدث فيه عن تفسير آية من سورة آل عمران ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7] فبين المقصود بالمحكم والمتشابه من هذه الآية. (بليلو، 2009م، 69).

المحور الرابع: استعراض طائفة من النصوص المتشابهة من الكتاب والسنة، كالاستواء والوجه والفوقية والمجيء والإتيان...

المحور الخامس: تفسير السلف والخلف للمتشابهات، وهذا المحور تناول فيه جمع أقوال العلماء في النصوص المتشابهة، التي ذكرها في المحور الرابع. (بليلو، 2009م، 75).

المحور السادس الأخير: تناول فيه موقف ابن الجوزي الحنبلي من تفسير الصفات المتشابهة، وفي هذا المحور أراد المؤلف أن يثبت أن قضية تأويل النصوص المتشابهة

عنوان المقال: (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

ليس الأشاعرة وحدهم من ذهب إلى ذلك، بل يوجد أئمة من الحنابلة من قال بالتأويل وأثبتوه في مؤلفاتهم.

الكتاب الثاني: التبيان لبعض ما كان وما سيكون من الفتن في أرض العراق والشام. هذا الكتاب تناول فيه جزيئة تتعلق بباب السمعيات، وبالتحديد أشرط الساعة فقد قسمه إلى:

مقدمة ذكر فيها سبب تأليفه للكتاب.

ثم تعرض في المحور الأول: إلى التعريف بالفتنة، وبين في المحور الثاني: أنواع الفتن، وفي المحور الثالث: ذكر مصادر الفتنة ومنابعها ومواقعها وبداياتها، ومثل في المحور الرابع أمثلة حية لبعض الحركات الإسلامية للعظة والعبرة، وفي المحور الخامس: منزلة الصحابة عند الله وعند رسوله في قلوب المؤمنين، وفي المحور السادس النتيجة التي أفرزتها تلك الاختلافات التي حصلت بين الصحابة، وقدم في المحور السابع: وجهة نظر المؤلف في كيفية التعامل مع تلك الاختلافات، وأعطى في المحور الثامن: لمحة سريعة عن حركة عبد الله ابن سبأ اليهودي، وختم المحور التاسع: بالحديث عن الملاحم والفتن التي وقعت ولازالت تقع في أرض الشام والعراق. (بليلو، 2016م، 4).

3. المبحث الثاني: اجتهاد الفقيه محمد بليلو في الإلهيات

إن كتاب دروس التوحيد في العقيدة الأشعرية قد حاول فيه مؤلفه أن يتفادى المشكلات التي يعاني منها الدرس العقدي مثل التعقيد، ومزج مباحث المنطق والفلسفة اليونانية بالمسائل العقدية، إذ نجد المؤلف يعرض العقائد بشكل مبسط وسلسل يستطيع القارئ المبتدئ أن يستوعب ما أودعه في الكتاب بيسر وسهولة، وسنحاول عرض منهج الفقيه بليلو في الإلهيات من خلال ما يأتي:

3، 1 ملامح الدرس العقدي في الإلهيات (ايبانوني، 1405هـ، 3-4). عند الفقيه محمد بليلو:

سنعرض بعض ملامح الدرس العقدي الأشعري عند الفقيه محمد بليلو في باب الإلهيات وذلك من خلال العناصر الآتية:

أولاً: توخي السهولة واليسر في عرض مسائل العقيدة

اسم ولقب المؤلف (بن) (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

بسط مسائل العقيدة بطريقة سهلة ويسيرة وخلو الكتاب من التعقيد والتجريد والألغاز، إذ نجده يستعمل أسلوب السؤال والجواب التعليمي في عرض الدرس العقدي الأشعري، والنماذج على ذلك في كتابه كثيرة منها:

- في المحور الأول: صدره بهذا السؤال: من هو الإمام الأشعري، ومن هم الأشاعرة؟ (بليلو، 2009م، 15).

- وفي المحور الثاني ساق مجموعة من الأسئلة وأجاب عنها وهي: لماذا تسمى صفة نفسية، (بليلو، 2009م، 24). وفي نفس المحور يتساءل: هل وجود الله يحتاج إلى دليل، (بليلو، 2009م، 27). لماذا تسمى الصفات سلبيات، (بليلو، 2009م، 30). ما هي صفات الأفعال والصفات الخيرية؟، (بليلو، 2009م، 39). وصار على هذا المنوال في الكتاب كله، وهذا الأسلوب التعليمي من أهم عناصر التدريس المعاصر (الزويني، 2015م، 67). "وهذه طريقة بدأت في القرن الأول ونالت درجة من التقدير جعلتهم يصفون السؤال بأنه نصف العلم، ولقد شاع استعمالها في القرن الثاني وتواصى العلماء باستعمالها حتى أن الأصمعي علل بلوغه المرتبة التي وصل إليها لجرأته على السؤال واستعماله في تعليمه ودراسته" (الكيلاني، 1985، 99-100). وهذا الأسلوب استعمله النبي صلى الله عليه وسلم في مواقف تعليمية ثبتت عندنا في السنة النبوية كحديث جبريل (صحيح مسلم، 1985، 36/1) الذي سأل فيه النبي عن الإسلام والإيمان والإحسان، وقد بوب البخاري على هذا الأسلوب التعليمي في صحيحه، فقال باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، وأورد حديث ابن عمر رضي الله عنهما "عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدِيثُونِي مَا هِيَ» قَالَ: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ» (صحيح

البخاري، 1422، 1/22)

3،2 الاقتصار على أمهات العقائد (ست وستون عقيدة)

من مبتكرات علماء المغرب في تصانيفهم العقديّة، اقتصرهم على أمهات العقائد الإيمانية، وهي ست وستون عقيدة مستنبطة من كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأول من اهتدى إلى ذلك الإمام السنوسي (اللوه، 2016م، 330) وتبعه في ذلك غيره من العلماء، وعلى منوالهم صار الفقيه محمد بليلو، فتناول هذه العقائد الست والستين بالشرح والتبسيط، وجمع فيها الإلهيات والنبوات والسمعيات، ثم لخصها في جدول فقال:

"وبعد الشرح والبيان لما يجب شرحه وبيانه في موضوع العقيدة الأشعرية، نلخص ما بسطناه ونجمعه بالأرقام تحقيقاً للفائدة المتوخاة من هذه الرسالة التي قصدت من كتابتها (66) عقيدة.

الواجب في حقه تعالى 20 صفة

المستحيلات في حقه تعالى 20 صفة

يضاف إليها الإيمان بالله والملائكة 5 صفات
والكتب والرسل واليوم الآخر

ثم يضاف إلى هذا الأضداد 5 صفات

ثم يضاف ما تضمنه هذا الرمز (عجق 5 صفات
(حط)

ثم الأضداد 5 صفات

ثم ما يجب في حق الرسل الكرام عليهم
الصلاة والسلام 3 صفات

ثم أضداد تلك الصفات 3 صفات

إذا جمعنا هذه الأعداد كم تكون النتيجة؟

3،3: الابتعاد عن تعقيدات الفلسفة اليونانية

لم يقتصر بعض المتكلمين المتأخرين من الأشاعرة من عرض مسائل العقيدة خالية من إنتاج الفلاسفة، وإنما راحوا يخلطون علم الكلام ببحوث الطبيعة، وغيرها من أفكار ميتافيزيقا، وكان الغرض من ذلك في البداية دعم المسائل العقدية في الإلهيات ببعض مباحث الفلسفية إلا أنه تطور الأمر إلى الاستغراق في ذلك، فأصبح من يطالع كتب العقيدة يرى فيها الخلط المسرف للكلام بالفلسفة كما عبر بذلك الدكتور حسن الشافعي (حسن الشافعي، 2001م، 112)، ومن هنا جاءت دعوى صريحة من بعض المعاصرين للتجديد في الدرس العقدي المعاصر. (البوطي، 1997م، 23)

وإذا أنعمنا (ابن منظور، 2014م، 12-586) النظر في كتاب دروس التوحيد في العقيدة الأشعرية نجده يعرض العقيدة بوضوح متحاشيا تلك المصطلحات المعقدة، أو الأساليب التي قد لا يفهمها القارئ المبتدئ.

3،4 استخدام مهارة الرموز لتزويد المتعلم بمعرفة قواعد التوحيد في الإلهيات: إن من أنجح الوسائل، أو الأساليب التعليمية استعمال مهارات معرفية بالشكل الذي يساعد على توصيل المعلومة للمتلقي، لذا نجد المؤلف يستعمل مهارة الرموز يقول: "رمز (غجق حط) وأضداده:

نؤمن إيماننا جازما بما يتضمنه هذا الرمز (غجق حط).

التوضيح:

الغين: يعني: نفي الأغراض في الأفعال والأحكام...

الجيم: جواز الفعل والترك...

القاف: يعني نفي التأثير بالقوة...

الحاء: حدوث العالم بأسره...

الطاء: نفي التأثير بالطبع... (بليلو، 2009م، 57)

3،5 التثبيت في إطلاق الأسماء والصفات على الله تعالى:

للإمام الأشعري منهج خاص في إطلاق الأسماء على الله جل وعلا، إذ المرجع في ذلك عنده الأدلة السمعية لا العقلية، فأسماء الله تعالى توقيفية وليست توفيقية، لذا كان الإمام الأشعري يقول: "وذلك أنه: لا يجب أن يوصف، ولا أن يسمى بكل ما فعله من جميع ما تشتق منه الأسماء باتفاق من الأمة بأسرها، فوجب أن يكون ذلك مخصوصا في بعض أوصاف أفعاله، وذلك لا يتميز عنده على أصله إلا بالتوقيف، فما ورد التوقيف به منا جاز أن يطلق، وما لم يرد به حظر." (ابن فورك، 2005م، 50) وهذا التدقيق والتحقيق نجده حاضرا عند مؤلفنا الشيخ محمد بليلو متبعا في ذلك إمام المذهب يقول: "وأسماء الله تعالى توقيفية، أي تعليمية يتوقف إطلاقها على الله تعالى أي يتوقف على الوحي. أي على تعليم الشارع وإذنه، فلا يصح أبدا إطلاق اسم ما على ذات الله تعالى لم يأذن فيه ربنا سبحانه بواسطة الوحي، الكتاب والسنة." (بليلو، 2009م، 26) في حين أننا نجد بعض العلماء قد تساهلوا في إطلاق بعض الأسماء وبيان معانيها على اللغة ويستشهدون على ذلك بالأشعار (حسن الشافعي، 1998م، 208)

3،6 الإعراض عن المسائل الخلافية التي لا طائل تحتها

كثير من القضايا التي شغلت المتكلمين لم يكن تحتها طائل، ولا يضر الجهل بها، بل كان من الأحسن عدم إثارتها من الأساس، ومن الأمثلة على ذلك اختلافهم في صفة الوجود هل الوجود عين الذات، أو هو وصف زائد عن الذات العلية؟، هذه المسألة أخذت حيزا كبيرا عند بعض المتكلمين الأشاعرة، ولقد تشعبت بهم الأقوال إلى ثلاثة آراء:

أولها-صفة الوجود هي عين الذات وهو الذي عليه الإمام الأشعري

ثانيها-الوجود صفة زائدة عن الذات وإليه ذهب الرازي (اللقاني، 1430هـ، 318/2)

اسم ولقب المؤلف (بن) (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

ثالثيا- "الوجود غير الماهية في الممكنات، أما واجب الوجود فوجوده عين ماهيته، وهو رأي ابن سينا والفرايبي" (حسن الشافعي، 157)

نجد المؤلف أعرض كل الإعراض عن هذه التفصيلات التي لا طائل تحتها، وإنما اكتفى بتعريف صفة الوجود فقال في تعريفها: "الوجود هي الصفة التي يعبر بها عن الذات العلية، وهذه الصفة لا تحمل أية زيادة كالصفات الأخرى مثل: القادر..." (بليو، 2009م، 25) فهو يوافق الإمام الأشعري في رأيه، ولم يعط للمسألة أكثر مما تستحق؛ لأنها ليست من العقائد في شيء يقول العلامة العربي اللوه "...والتحقيق أن مسألة كون الوجود عين الموجود أو غيره ليست من العقائد في شيء، وإنما هي مسألة جرحهم إليها البحث والجدل ككثير من المباحث التي أدرجوها في هذا العلم ساقهم إليها الجدل والنقاش، مع أنها ليست منه.

فالمكلف إذا اعتقد أنه تعالى موجود وأنه متصف بالوجود فقد قام بالواجب ولا يكلف بأكثر من ذلك، فلا يجب عليه أن يعرف أن وجوده تعالى عين ذاته أو غير ذاته، لأن ذلك خروج عن المطلوب الذي هو معرفة العقائد إلى أمور فلسفية محضة لا تنبني عليها ثمرة علمية لهذا يصح الحكم على هذا الخلاف بأنه عار عن الفائدة." (العربي اللوه، 98)

7,3 الصفات الإلهية بين المحكم والمتشابه في رأي الفقيه محمد بليو

أعطى المؤلف لهذه القضية-المحكم والمتشابه في صفات الله جل وعلا- مساحة كبيرة في كتابه حيث عقد أربعة محاور للحديث عن هذه المسألة، والكتاب بمجموعه يحتوى على ستة محاور، وما أظن المؤلف فعل ذلك إلا لما يكتنف هذا الموضوع من مغالطات في نظره، وقد سلك في تفسيره للمتشابهات مسلك الأشاعرة.

منهج الأشاعرة في صفات الباري: جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية نصوص أضافت إلى الله جلا وعلا صفات خبرية أو فعلية هذه النصوص تختلف الفرق الإسلامية في تعاملها معها بين نفي وإثبات، (عليان، 2011م، 108) ومنهج الأشاعرة

عنوان المقال: (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

في ذلك يبينه لنا أبو الحجاج يوسف بن موسى الضير في منظومته: التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد يقول -رحمه الله تعالى:-

"فكل ما ظاهره التشبيه*** وما ينافي المجد والتنزيه
فحكمه الوقف أو التأويل*** كلاهما قال به الجليل
وكلهم قال بترك الظاهر*** لأنه يدعو الجهول غامر

ومال شيخنا إلى التأويل*** لأنه أسعد إلى التأويل" (الضير، 1014م، 112)
فالنصوص المتشابهة يحملها الأشاعرة على التأويل وفق ما جاء في المحكم الذي هو مرجع المتشابه، إذ الأدلة النقلية عندهم القابلة للتأويل لا تعارض قواطع العقل، (اللقاني، 1/494) فهم يثبتون بعض الصفات ويؤولون أو يفوضون الصفات التي توهم التشبيه قال صاحب الجوهرة:

"وكل نص أوهم التشبيها*** أوله أو فوض ورم تنزيها: (اللقاني، 1/488)

وهم بهذه الطريقة سلكوا طريقا وسطا بين المعتزلة الذين ينفون الصفات، والمشبهة الذين شبهوا ذات الباري بذات غيره. (الشهرستاني، 1993م/1، 118، 57)
والمؤلف حاول في الكتاب أن يستعرض هذا المنهج بطريقة ميسرة فبدأ ببيان معنى المحكم والمتشابه

فقال: "المحكم ما عرف تأويله وسهل تفسيره. المحكم ما عرف المراد منه" (بليلو، 70)
وقال في تعريف المتشابه: "هو ما استأثر الله تعالى بعلمه.. المتشابه هو الذي إذا قرأته وقفت عاجزا وحائرا في مضمونه ومدلوله تخاف من الإقدام على تفسيره والبحث فيه." (بليلو، 70)

وفي المحور الرابع استعرض طائفة من النصوص المتشابهة، وسنذكر بعض النماذج من هذه النصوص وكيف تعامل معها منتهجا في ذلك منهج الإمام الأشعري.

المثال الأول: العين.

اسم ولقب المؤلف (بن) (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

جاء لفظ العين في القرآن الكريم في عدد من الآيات، وفي كل سياق له معنى خاص، وقد استقرأ بعض العلماء معاني العين في القرآن الكريم، فوجدها على ستة أوجه هي: 1- العين الجارحة. 2- والنهر. 3- وشراب أهل الجنة. 4- والحفظ والكلاءة. 5- والمنظر بعينه. 6- والنفس. (الدامغاني، 2010م، 2-83)

أورد المؤلف آية في سورة طه تتضمن لفظ العين، وعددها من المتشابه، وهي قوله تعالى: ﴿وَلْتُصْنَعْ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: 39] يقول المؤلف: "لجأ الجميع إلى التأويل أشاعرة وحنابلة... لأن ظاهر اللفظ يقتضى أن يكون ملتصقا بها مستعليا عليها. وهذا لا يقوله عاقل فضلا عن عالم، وهل يليق بجانب الله تعالى أن يقال في حقه هذا.

هذا هو السبب الذي جعل الجميع يؤول" (بليلو، 85) وقد لجأ الأشاعرة إلى تأويل هذه الصفات خوفا من الوقوع في التشبه، ونفيه يعد ركنا من أركان الدين بل هو من أعظمها كما يصرح الجويني في كتابه الشامل. (الجويني، 1969م، 287)

قال المؤلف في معنى الآية السابقة، وما جاء من مثيلاتها في القرآن الكريم أن معنى العين "الرعاية والعناية بمعنى أن الله تعالى أخبر نبيه موسى عليه السلام بأنه أحبه وحببه إلى خلقه وحفظه ورعاه برعايته." (بليلو، 84)

وقد ذكر المفسرون أقوالا أخرى في تأويل الآية منها ما ذكره الإمام الرازي في تفسيره قال: "قوله: ﴿وَلْتُصْنَعْ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ قال القفال: لترى على عيني، أي على وفق إرادتي، ومجاز هذا أن من صنع لإنسان شيئا وهو حاضر ينظر إليه صنعه له كما يحب، ولا يمكنه أن يفعل ما يخالف غرضه فكذا هاهنا وفي كيفية المجاز قولان: الأول: المراد من العين العلم أي ترى على علم مني ولما كان العالم بالشيء يحرسه عن الآفات كما أن الناظر إليه يحرسه عن الآفات أطلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه. الثاني: المراد من العين الحراسة وذلك لأن الناظر إلى الشيء يحرسه عما يؤذيه، فالعين كأنها سبب الحراسة فأطلق اسم السبب على المسبب مجازا وهو كقوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: 46] ويقال: عين الله عليك إذا دعا لك بالحفظ والحيطة،

قال القاضي ظاهر القرآن يدل على أن المراد من قوله: ولتصنع على عيني الحفظ والحياطة." (الرازي، 1420هـ، 22-48)

وهذا الذي ذكره الفقيه محمد بليلو من تأويل العين، هي إحدى طرق التأويل عند الأشاعرة، والمسعى عندهم التأويل التفصيلي، وهو حمل النص على معنى خاص معين كما تقدم في تفسير العين.

ولم يذكر المؤلف التأويل الإجمالي، وهو: تنزيه الله تعالى عما قد يُتوهم من المعاني الظاهرة، وتفويض علم حقيقة ذلك على التفصيل إلى الله سبحانه وتعالى وهو طريق من طرق التأويل عند الأشاعرة. (ابن الأمير، 2001م، 181)

المثال الثاني: تنزيهه تعالى عن المكانية: (الجهة)

لقد شرح الإمام الغزالي موقف الأشاعرة في نفهم الجهة عن الله تعالى فقال: "ندعى أنه ليس في جهة مخصوصة من الجهات الست، ومن عرف معنى لفظ الجهة ومعنى لفظ الاختصاص فهم قطعاً استحالة الجهات على غير الجواهر والأعراض... فإن قيل: لم يكن مخصوصاً بجهة فوق فما بال الوجوه والأيدي ترفع إلى السماء في الأدعية شرعاً وطبعاً، وما باله صلى الله عليه وسلم قال للجارية التي قصد إعتاقها فأراد أن يستيقن إيمانها أين الله فأشارت إلى السماء فقال إنها مؤمنة.

فالجواب عن الأول إن هذا يضاهي قول القائل إن لم يكن الله تعالى في الكعبة وهو بيته فما بالنا نحجه ونزوره، وما بالنا نتذلل بوضع وجوهنا على الأرض في السجود، وهذا هذيان بل يقال قصد الشرع من تعبد الخلق بالكعبة في الصلاة ملازمة الثبوت في جهة واحدة، فإن ذلك لا محالة أقرب إلى الخشوع وحضور القلب من التردد على الجهات، ثم لما كانت الجهات متساوية من حيث إمكان الاستقبال خصص الله بقعة مخصوصة بالتشريف والتعظيم وشرفها بالإضافة إلى نفسه واستمال القلوب إليها بتشريفه ليثيب على استقبالها، فكذاك السماء قبله الدعاء كما أن الكعبة قبله الصلاة." (الغزالي، 1994م، 58-60)

اسم ولقب المؤلف (بن) (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

وقد تحدث الفقيه محمد بليلو عن الآية المتضمنة للجهة، وأبان عن رأيه متبعاً في ذلك الأشعرية، فقال في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 115] "ظاهر الآية إذا تعاملنا معه بلغة الإعراب وخصوصاً كلمة "فتم" وجدناها ظرف مكان وظرف المكان من وظيفته تحديد المكان؛ لأن الظرف إما زمان، وإما مكان والله تعالى لا يحكمه زمان ولا مكان؛ لأنه خالق الزمان والمكان." (بليلو، 88) وعلى هذا المذهب كافة الأشاعرة من نفي الجهة عن الله؛ لأنه يستلزم أن يكون الله في مكان يقول الإيجي: "المقصد الأول: أنه تعالى ليس في جهة ولا في مكان، وخالف فيه المشبهة وخصصوه بجهة فوق." (الإيجي، 170) وقد خالف ابن رشد وذهب إلى التفرقة بين الجهة والمكانية، ورأى أن إثبات الجهة لا يستلزم إثبات المكان (ابن رشد، 1964م، 176/2) وسبقه إلى ذلك الرأي ابن حزم، (ابن حزم، 98/2) وليس هذا موضع التفصيل في هذا، وإنما يكفي هذه الإشارات القصيرة، وبهذا نكون قد انهينا المبحث الأول.

4. اجتهاد الفقيه محمد بليلو في النبوات والسمعيات

سنعرض في هذا المبحث بعض القضايا العقدية المتعلقة بابي النبوات والسمعيات، ففي النبوات عرضت كلام المؤلف في العصمة، ثم تناولت ملامح منهجه في هذا الباب، وفي السمعيات سأسوق حديثه عن أشراط الساعة، وكيف تعامل مع الرويات في هذا القسم.

4،1. النبوات عند الفقيه محمد بليلو عصمة الأنبياء أنموذجاً

من المباحث المهمة في باب النبوات عصمة الأنبياء؛ لأنها من الصفات الضرورية للأنبياء الواجبة في حقهم صلوات ربي وسلامه عليهم، وقد اختلفت عبارات العلماء في تعريفها قال بعضهم العصمة هي: "تهيئة العبد للموافقة مطلقاً"، (اليوسي، 2008م، 346/3) وقيل: "هي لطف من الله للعبد، يحمله على

فعل الخير، ويزجره عن الشر" (اللقاني، 2، 804) وقيل: "هي أن لا يخلق الله في المكلف الذنب مع بقاء قدرته، واختياره" (اللقاني، 2، 804) وقيل: "عدم القدرة على المعصية" (الأوشي، 1429هـ، 147) وقال بعضهم: "هي خاصية في نفس الشخص، أو في بدنه يتمتع بسببها صدور الذنب عنه." ورد هذا التعريف بأنه: "لو كان صدور الذنب ممتنعا لما استحق المدح بترك الذنب؛ لأنه لا مدح، ولا ثواب بترك ما هو ممتنع لأنه ليس مقدورا له، ولا داخلا تحت اختياره" (الجرجاني، 1419هـ، 306/8) ويمكن أن نقول: العصمة هي حفظ الله جل وعلا لأنبيائه من الوقوع في الذنوب والمعاصي، وزاد بعضهم " مع بقاء الاختيار، تحقيقا للابتلاء والتكليف" (الخفاجي، 1424هـ، 144/5) ولهذا قال أبو منصور الماتريدي: "العصمة لا تزيل المنحة"، يعني لا تجبر المعصوم على الطاعة، ولا تجيره من المعصية، بل هي لطف الله تعالى يحمله على فعل الخير، ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء. (ابن عاشور، 1429، 43)

أولا: العصمة عند الفقيه محمد بليلو:

تعرض المؤلف للحديث عن العصمة أثناء كلامه عن الواجبات والمستحبات في حق الرسل عليهم السلام، فذكر أن من مقتضيات العصمة اتصافهم بالصدق وهو "أن يكون خبرهم مطابقا للحقيقة والواقع في دعوى الرسالة، وفي تبليغ الأوامر الإلهية كما تلقوها عن الله سبحانه، وأن يكونوا صادقين مع الله ومع الناس في سرهم وجهرهم وفي ليلهم ونهارهم وفي عبادتهم وعاداتهم." (بليلو، 61)

وعصمة الأنبياء من الكذب مطلقا، وفي التبليغ خصوصا مما اتفقت عليه الأئمة (ابن بزيمة، 2014م، 536)، وأرباب الشرائع، وأهل الملل (الأمدي، 1004م، 4، 144).

إذ يستحيل في حقهم صدور الكذب، لأن عمدة النبوة الإخبار والبلاغ.

وقد استدل الأشاعرة على ذلك بالنقل والعقل.

اسم ولقب المؤلف (بن) (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

أما النقل: فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في غير ما أية أن من صفات الأنبياء الصدق كقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة:

[44/43

وقال تعال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم 4/3] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: 104/105]

وفي الحديث عَنْ ابن عمر «عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنِّي لَأَمْنُحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا». (الطبراني، 1994، م، 17/9) والدليل العقلي على صدق الأنبياء:

أ- لو جاز الكذب عليهم للزم الكذب في خبره تعالى وهو محال؛ لأنه تعالى صدقهم بالمعجزات.

ب- الكذب معصية وهم معصومون منها.

ج- لو كذبوا وعرف الناس منهم ذلك لانتفتت فائدة الرسالة. (عليان، 184) وقد ذهب المؤلف إلى أنه يستحيل عليهم الكذب دينا ودنيا قال: " فهم فيما يبلغونه صادقون، وفي كل ما يقولونه ويفعلونه صادقون، لا يصدر منهم الكذب لا عمدا ولا نسيانا"، (بليلو، 62) اتبع في تسويته بين العمد والنسيان أكثر العلماء، وجوز بعض العلماء الغلط في ذلك على سبيل السهو والنسيان. (الأمدي، 4، 144)

وذكر الفقيه محمد بليلو ما يمكن أن يورد على كلامه السابق من أن الأنبياء معصومون من الكذب مطلقا قال: "وما ورد في حق إبراهيم الخليل من أنه كذب ثلاث كذبات، فإن ظاهره الكذب وباطنه الحق والمصلحة، ولا بد من مراعاة المقصد والظرف والحال الذي دعا سيدنا إبراهيم إلى هذا." (بليلو، 62)

يشير في هذا النص إلى الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه، وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ

مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَوْلُهُ ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفافات: 89]. وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: 63]. وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي، فَأَتَى سَارَةَ قَالَ: يَا سَارَةُ: لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرِكَ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ أُخْتِي، فَلَا تُكْذِبِينِي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأَخَذَ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضْرُكَ، فَدَعَتِ اللَّهَ فَأُطِيقَ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأَخَذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضْرُكَ، فَدَعَتِ فَأُطِيقَ، فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ، إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ، فَأَخَذَمَهَا هَاجَرَ، فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: مَهْيَا، قَالَتْ: رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْكَافِرِ، أَوْ الْفَاجِرِ، فِي نَحْرِهِ، وَأَخَذَمَ هَاجَرَ " قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ تِلْكَ أُمَّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ » (البخاري، 4، 140)

إن إطلاق الكذب على ما ذكر من الأمور الثلاثة للعلماء لهم فيها تأويلات، والفقهاء محمد بليلو لم يعرج على ذكر تفصيلهم في ذلك لأن الكتاب للمبتدئين، وقد رام فيه صاحبه التبسيط لا التعقيد؛ لذا اختصر كلام العلماء في قوله: "وما ورد في حق إبراهيم الخليل من أنه كذب ثلاث كذبات، فإن ظاهره الكذب وباطنه الحق والمصلحة." (بليلو، 62) لكن عند رجوعنا إلى شرح الحديث، ومنهم القاضي عياض في شرح صحيح مسلم قال: إن ما سماه النبي صلى الله عليه وسلم كذبا في الحديث ليس داخلا في حقيقة الكذب وحده وإنما هو من "باب المعارض التي جعلها الشرع مندوحة عن الكذب عند الضرائر، ولكن سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات؛ لأنه أتى بها لمن خاطبه على ظاهرها ومعتقده خلاف ذلك، فلما كان في حقي المخبر والخبر ظاهرها بخلاف باطنها جاءت في صورة الكذب، وإن لم يكن كذباً في الباطن. وهذه على صورة المعارض. ولما جاءت بهذه الصورة سماها النبي محمد وإبراهيم -

عليهما السلام - كذبات" (عياض، 1998، م 347/7)

ثانياً: ملامح منهجه في هذا الباب:

الاستدلال بالنصوص القرآنية في باب النبوات

الاستدلال بنصوص الوحي له أهمية كبيرة في المباحث العقديّة المتعلقة بصفات الله جل وعلا، والنبوة؛ لذا نجد كثيرا من علماء الأشاعرة يجمعون في الاستدلال بين العقل والنقل يقول العلامة العربي اللوه-رحمه الله تعالى: "وأقوم طريق وأهدى سبيل إلى معرفة العقائد هو الشارع الحكيم الذي بين في القرآن الكريم وفي السنة النبوية القاطعة ما يجب على المكلفين اعتقاده للتوصل إلى الإيمان المطلوب من العباد كما أرشدهم إلى سبيل الاستدلال على ذلك لهتدوا بعقولهم ويقتنعوا من أنفسهم بما بينه لهم من العقائد، فالسبيل إلى معرف العقائد هو القرآن الكريم الذي وردت فيه كثير من الآيات، وكذا الأحاديث التي تبين للعباد اتصافه تعالى بالصفات التي جاء ذكرها في القرآن والسنة وغيرها من صفات الكمال." (اللوه، 76)

وهذا المنهج صار عليه الفقيه محمد بليلو في كتابه فمثلا عندما تحدث عن الصفة الثالثة من الصفات الواجبة للأنبياء وهي التبليغ قال: "التبليغ: بأن يبلغوا ما أمرهم الله بتبليغه، كيفما كانت الظروف والأحوال قال تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 67]" (بليلو، 62)

حضور منظومة ابن عاشر في كتاب دروس التوحيد

من الكتب المعتمدة عند المغاربة في تقرير العقائد الأشعرية مقدمة ابن عاشر في العقائد التي وضعها في أول نظمه-مقدمة لكتاب الاعتقاد معينة لقارئها على المراد- فمنذ نظمه للكتاب تعاقب علماء المغرب على شرحه وأولهم تلميذه محمد بن أحمد ميارة إلى عصرنا الحاضر حتى صار من المقررات في مناهج التدريس في المدارس العتيقة، ومن العلماء من شرح النظم كاملا العقيدة والفقه والتصوف ومنهم من اقتصر على بعض الأبواب كالعقيدة مثل الطيب بن عبد المجيد بن كيران وشرحه على

عنوان المقال: (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

العقيدة مطبوع، فأضحت منظومة ابن عاشر مرجعا للعلماء والفقهاء؛ لذا نجد الفقيه بليلو جعل منظومة ابن عاشر مرجعا أساساً في كتابه دروس في التوحيد، ففي بداية حديثه عن النبوات استشهد بكلام الناظم ابن عاشر رحمه الله تعالى قال: "الواجب في حقهم ثلاث صفات قال الناظم:

يجب للرسول الكرام الصدق***أمانة تبليغهم يحق" (بليلو، 61)

واستشهد به أيضاً في المستحيلات في حق الرسول والجائزات في حقهم (بليلو، 63)، والمتتبع يجد نظم ابن عاشر حاضرا في الكتاب، بل عليه اعتمد في تقرير المسائل العقدية سواء في الإلهيات أم النبوات.

2،4. السمعيات عند الفقيه محمد بليلو عصمة أشرط الساعة أنموذجا

ذكرنا في المبحث الأول أن للفقيه بليلو كتابا خصصه للحديث عن أشرط الساعة سماه التبيان لبعض ما كان وما سيكون من الفتن في أرض العراق والشام، ومن خلال هذا الكتاب نستنتج بعض ملامح المنهجية التي صار عليها للحديث عن أشرط الساعة، وقبل ذلك نمهد بالتعريف بها لغة واصطلاحا.

معنى أشرط الساعة لغة واصطلاحا:

أشرط الساعة لغة: الأشرط جمع شرط، وهي العلامة قال ابن فارس "شَرَطَ) الشين والراء والطاء أصل يدل على علم وعلامة، وما قارب ذلك من علم. من ذلك،

الشرط: العلامة. وأشرط الساعة: علاماتها." (ابن فارس، 1979م، 3/260)

أما في الاصطلاح: أما في التعريف الشرعي فتطلق ويراد بها "العلامات التي يعقبا قيام الساعة" (العسقلاني، 13، 79/1379)

تناول بعض الكتاب المعاصرين موضوع أشرط الساعة وعبثوا في النصوص الإسلامية وأولوها تأويلا حسب أهوائهم؛ فمنهم من ادعى أن نهاية العالم ستكون في سنة كذا وكذا و"شاع في السنوات الأخيرة ظاهرة الإلحاح في محاولة المطابقة بين النصوص الواردة في أحداث آخر الزمن وبين بعض الوقائع المعاصرة والمتوقعة، وقذفت المطابع

اسم ولقب المؤلف (بن) (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

بعشرات الكتب، وعشرات النشرات، والمقالات، والأشرطة، فيما خوض في أشراف الساعة، مرة بحق ومرات بالظن، والقول على الله بغير علم، واختلط الحق بالباطل، والتبست الأمور على الجمهور، حتى صار المناخ مهيناً لتفريخ مهدي موهوم، أو مسيح كذاب، أو منقذ دجال. " (العجيري، 1433هـ، 41)

والفقيه بليلو قد أحسن التعامل مع ما ورد وذلك بفضل المنهج الذي صار عليه في التعامل مع أحاديث أشراف الساعة:

❖ الاعتماد على الصحيح

إن الحديث عن أشراف الساعة حديث عن المغيبات، يوجب الحذر من الوقوع في نقل الأكاذيب والموضوعات التي لا أساس لها؛ لذا كان لعلماء أهل السنة قاعدة مهمة في هذا الباب وهي: "إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعيها فالدليل"، (البوطي،، 34) وعلى هذا المنهج صار المحققون من علماء الأمة كالإمام الطبري، فقد ذكر في مقدمة كتابه التاريخ طريقتيه في الاعتماد على الأخبار ومنها أحاديث أشراف الساعة فقال: "وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى روايتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول... فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنع سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا" (الطبري، 1387،

(8/1)

وقد نهج على هذا المنوال الفقيه بليلو يقول في مقدمة المحور التاسع: " حديث الملاحم والفتن التي وقعت ولا زالت تقع في أرض الشام والعراق.

عنوان المقال: (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

مقدمة لهذا المحور الخطير: إذا جمعنا الأحاديث الصحيحة الواردة في الملاحم الكبرى وربطنا بعضها ببعض، وأحسننا تنسيقها وترتيبها وقراءتها فإننا حتما سنخرج بهذه النتيجة:

وهي: أن الرسول صلى الله عليه وسلم تكلم فيها عن أمور مفهومة واضحة، وأمور مهمة غامضة؛ لكونها غيبيات، لذا فإننا لا نطمع أبدا أن نفهم كل ما جاء في أحاديث الملاحم الكبرى جملة وتفصيلا". (بليلو، 55)

فالاعتماد على صحيح الأخبار يجنبنا من الوقوع في كثير من الانحراف العقدي، والكذب على الرسول الله صلى الله عليه وسلم، لذا كان لزاما على كل ناظر في كتب التراث أن يمحص وأن يرجع إلى علماء الشأن.

الاعتماد على المصادر المعتمدة

إن الاعتماد على الكتب والمراجع المتخصصة في الباب هو الطريقة المثلى لتجنب الزيغ والزلل يقول المؤلف-الفقيه بليلو: "قرأت بتأن وتؤدة بعض المراجع المقبولة المعتمدة عند المسلمين في تدوين التاريخ عامة وتدوين تاريخ الصحابة خاصة وهي:

1-الكامل في التاريخ، لابن الأثير.

2-البداية والنهاية، لابن كثير.

3-تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري" (بليلو، 48)

هذه الكتب التي ذكرها هي عمدة العلماء الذين يكتبون في التاريخ اليوم، وذلك لعدة اعتبارات:

أولاً: لأن الإمام الطبري يذكر كل ما يرويه بالسند لرفع العهدة عليه كما ذكر في المقدمة (الطبري، 1387، 8/1)

ثانياً: أن الإمام الطبري له مكانة علمية مرموقة يميز بين الغث والسمين.

ثالثاً: أنه قريب العهد بينه وبين المصطفى صلى الله عليه وسلم والصحابة فقد توفي في القرن الثالث الهجري.

❖ التحقق من أقوال العلماء

إن الذي يقرأ في كتب التراث الإسلامي يجد أحيانا في بعض القضايا اختلافا وتعارضاً شديداً، فإذا لم يحسن الجمع بين النصوص والترجيح بينها واستبعاد الأقوال الضعيفة والمردولة سيقع في حيرة من أمره؛ لذا نجد المؤلف الفقيه بليلو تعامل مع النصوص التي ظاهرها التعارض بحذر وتحري الصحة في ذلك، ومن الأمثلة على ذلك حينما تعرض لحديث أبي هريرة رضى الله عنه في صحيح مسلم: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةِ جَانِبٍ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٍ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءَهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَزُمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا - قَالَ نَوَزُ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ - الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرَ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّلَاثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَفْرَجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوهَا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيحُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرَكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ» (صحيح مسلم، 4/2238)

نقل المؤلف تعليق ابن كثير على هذا الحديث وسأورده ثم أسوق تعقيبه عليه قال ابن كثير: "وهذا يدل على أن الروم يسلمون في آخر الزمان، ولعل فتح القسطنطينية يكون على يدي طائفة منهم، كما نطق به الحديث المتقدم أنه يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، والروم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، فهم أولاد عم بني إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق، فالروم يكونون في آخر الزمان خيراً من بني إسرائيل، فإن الدجال يتبعه سبعون ألفاً من يهود أصهبان، فهم أنصار الدجال، وهؤلاء أعني الروم، قد مدحوا في هذا الحديث، فلعلهم يسلمون على يدي المسيح ابن مريم، والله أعلم. على أنه قد وقع في بعض الروايات: من بني إسماعيل.

وقوى ذلك عياض وغيره، والله أعلم." (ابن كثير، 2003، 106/19)

عنوان المقال: (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

يقول الفقيه بليلو معقبا على كلام ابن كثير: "أقول: هذا الحديث رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، ولفظ الحديث ليس فيه سبعون ألفا من بني إسماعيل وإنما فيه من بني إسحاق قال القاضي: كذا في سائر الأصول. قال بعضهم: المعروف المحفوظ من بني إسماعيل، وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه، لأنه إنما يعنى العرب والمسلمين بدليل الحديث الذي سماها فيه في الأم، وأنها القسطنطينية. (عياض، 464/8)

تعليق: أقول: أولا نص الحديث في صحيح مسلم فيه بنو إسحاق، والقاضي عياض رحمه الله لم يبين ذلك البعض الذي رجح بني إسماعيل، ولم يذكر في ذلك حديثا يعتمد عليه ليعلم من خلاله القول الصحيح، وإذا كان هناك حديث ثان بلفظ بني إسماعيل فإنه لم يذكره ولم يشر إليه. "(بليلو، 65)

مما سبق يتبين لنا أن الفقيه رام في مؤلفه الدقة، وتحري المنهج السليم في التعامل مع النصوص واعتمد الأحاديث الصحيحة في الباب وحاول فيه الجمع بين الأقوال المتضاربة.

5. خاتمة

بعد هذه الإطلالة على الدرس العقدي عند الفقيه محمد بليلو قد برزت لنا بعض سمات وملامح التراث الكلامي في الريف، وسأحاول تلخيص ما سبق في النقاط الآتية:

- إن الفقيه بليلو برهن من خلال ما كتبه على أن الريف لا يزال فيه من يعتني بعقيدة أبي الحسن الأشعري تدريسا وتأليفا.
- ظهور أشعرية الفقيه محمد بليلو ظهورا جليا في مؤلفه الذي اعتمد فيه على مقدمة منظومة ابن عاشر في العقائد.
- تأثره بمنهج الإمام السنوسي الذي اهتدى إلى استنباط أمهات العقائد الإيمانية المتعلقة بالإلهيات والنبوات والسمعيات وخصرها في ست وستين عقيدة.

اسم ولقب المؤلف (بن) (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

-اقتصاده في عرض مسائل العقيدة على ما هو ضروري وعدم الخوض في الخلافات المتشعبة التي لا تدعو إليها الحاجة، وأعرض كل الإعراض عن هذه التفصيلات التي لا طائل تحتمها.

- عرضه العقائد بشكل مبسط وسلسل يستطيع القارئ المبتدئ أن يستوعب ما أودعه في الكتاب بيسر وسهولة.

- استخدامه مهارة الرموز لتزويد المتعلم بمعرفة قواعد التوحيد بالشكل الذي يساعد على توصيل المعلومة للمتلقي.

- الاستدلال بنصوص الوحي في المباحث العقدية المتعلقة بصفات الله جل وعلا، والنبوة؛ والمزاوجة بين الدليل العقلي والنقلي.

- ما كتبه الفقيه محمد بليلو يمثل نموذجا من نماذج الدرس العقدي الأشعري المعاصر في الريف مع قلة من يتناوله.

- اعتماده على الأحاديث الصحيحة الواردة في الملاحم الكبرى وربطه بعضها ببعض، وأحسن في تنسيقها وترتيبها وقراءتها.

التوصيات:

-عقد الندوات والقيام بدراسات في مجال الدرس العقدي في الريف.

-إبراز مجالات اهتمام أشاعرة علماء الريف بعلم الكلام وأثره في بقية العلوم في الفقه والأصول واللغة.

. قائمة المراجع:

- 1) ابن بزيمة، عبد العزيز إبراهيم، الإسعاد في شرح الإرشاد، ، تح عبد الرزاق بسرور، ط دار الضياء،-الكويت-ط1/1435هـ 2014م
- 2) ابن الأمير، حاشية ابن الأمير محمد بن محمد على إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد، تح احمد المزيدي، ط المكتبة العلمية-بيروت لبنان- ط/1/1422هـ-2001م
- 3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط: مكتبة الخانجي – القاهرة
- 4) ابن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تح محمود قاسم، ط مكتبة الانجلو المصرية، ط 2/1964م
- 5) ابن عاشور، تحقيقات وأنظار في القرءان والسنة، ط، دار السلام القاهرة، ط، 2/1429 هـ
- 6) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر ط: 1399هـ- 1979م
- 7) ابن فورك، مجرد مقالات الأشعري، تح احمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة مصر، ط 1/1425هـ-2005م
- 8) ابن كثير، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط: 1، 1418 هـ- 1997 م ط: 1424 هـ / 2003م
- 9) الأمدي، أبقار الأفكار، تح أحمد محمد المهدي، ط دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، 1424هـ-2004م، ط/
- 10) الأوثي، جامع اللألي شرح بدء الأمالي ، ط دار البشائر الإسلامية ط الأولى سنة 1429 هـ

- (11) الإيجي، المواقف في علم الكلام، ط عالم الكتب-بيروت لبنان-ط بدون
- (12) البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تح، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: 1/1422هـ
- (13) بليلو، التبيان لبعض ما كان وما سيكون في ارض العراق والشام، ط مطبعة القبس-العروي-المغرب-ط1437هـ-2016م
- (14) بليلو، دروس التوحيد في العقيدة الاشعرية، ط منشورات فرع السلام بالعروي التابع لجمعية الإمام مالك لتحفيظ القرآن الكريم وتدریس العلوم الشرعية، ط/1/1430هـ-2009م
- (15) البيانوني، سلسلة العقائد الإسلامية الإيمان باليوم الآخر وبالقضاء والقدر ط دار السلام ط 2/1405هـ
- (16) الجرجاني، شرح المواقف، ط دار الكتب العلمية بيروت محمود الدمياطي ط 1/1419هـ
- (17) الجويني، الشامل في أصول الدين، تح، على سامي النشار وآخرون، ط منشأة المعارف-الاسكندرية-مصر، ط1969م
- (18) حسن الشافعي، الامدي واراؤه الكلامية، ط دار السلام-القاهرة مصر-ط1/1418هـ-1998م
- (19) حسن الشافعي، المدخل إلى دراسة علم الكلام، ط إدارة القرآن والعلوم الإسلامية-باكستان-ط 2/1422هـ-2001م
- (20) الخفاجي، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، تح، محمد عطا، ط، دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى سنة 1424 هـ

عنوان المقال: (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

- (21) الدامغاني، الوجوه والنظائر، تح محمد حسن الزفيتي، ط وزارة الأوقاف جمهورية مصر ط 1431هـ-2010م
- (22) الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط: 3-1420 هـ
- (23) الزويني، أساليب التدريس قديمها وحديثها، ط دار المنهجية، ط 1/1436هـ-2015م
- (24) الشهرستاني، الملل والنحل، تح، امير على ، وعلي حسن، ط دار المعرفة، بيروت لبنان، ط 3/1414هـ-1993م.
- (25) الضير، التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد، تح سمير قويع وآخرون، ط منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية – المملكة المغربية- ط/1/1435هـ2014م.
- (26) الطبراني، المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ط: دار الحرمين – القاهرة- ط 1415هـ-1995م
- (27) الطبري، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، ط: دار التراث – بيروت ط: 2-1387 هـ
- (28) العجيري، معالم منارات في تنزيل نصوص الفتن والملاحم وأشراف الساعة على الوقائع والحوادث، ط مؤسسة الدرر السنية – المملكة العربية السعودية- ط 1، ط 1433هـ،
- (29) العربي اللوه، الرائد في علم العقائد، ط مطبعة تطوان المغرب، ط 2016م

اسم ولقب المؤلف (بن) (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

- (30) العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تح، محب الدين الخطيب، ط: دار المعرفة - بيروت، 1379هـ
- (31) عليان، أصول الدين الإسلامي، ط دار الإمام الأعظم النعمان بن ثابت، بيروت لبنان، ط/2/1432هـ-2011م
- (32) عياض، إكمال المعلم بقوائد مسلم، تح يحيى إسماعيل ط: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ط: 1، 1419 هـ - 1998 م
- (33) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، تح، موفق فوزي الجبر، ط دار الحكمة دمشق-سوريا، ط/1/1415هـ-1994م
- (34) كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد رمضان البوطي، ط دار الفكر دمشق، ط 8/1417هـ-1997م،
- (35) الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط دار ابن كثير-دمشق بيروت، ط 2/1405هـ-1985م
- (36) اللقاني، هداية المرید لجوهرة التوحيد، ط دار البصائر القاهرة ت مروان البجاوي ط الأولى سنة 1430هـ
- (37) مسلم القشيري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،:، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت،
- (38) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تح: حسام الدين القدسي ط: مكتبة القدسي، القاهرة ط: 1414 هـ، 1994 م
- (39) اليوسي، حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي ت عبد الحميد اليوسي ط دار الفرقان الدار البيضاء سنة 2008م ط 1